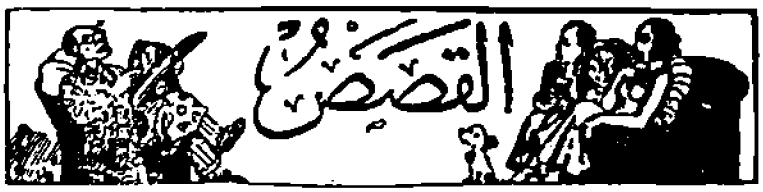

من الماضى . . !

للكاتب الروسى أنطون تشيخوف

للأستاذ عبد القادر حسن حميدة

كان الجو فى بداية أمره منعشا هادئا . . تنبعث خلال سكونه الحالم أغاريد طير « الأج » العذبة ... والمستنقعات قد حفلت بأجسام ضئيلة حية ترسل أنات متحشرجة محزنة أشبه بفحيح الأفاعى ... وانطلق طائر « البكاسين » فرددت الربى صدى دوى الرصاصة التى صوت نحوه ... بيد أنه حينما بدأت الظلمة الحالكة تنشر على الكون غلالتها السوداء

هبت من ناحية الشرق ريح رطبة نفاذة ... وغاص كل شئ فى بحر من الصمت الرهيب ... وعلت البركة طبقة متماسكة من الثلج ... وإذا بالغابة كلها خالية مقفرة مخيفة ...

لقد بدأت علائم الشتاء تظهر على محيا الزمن . . ! !

وكان « إيفان فيلكوبولسكى » عائدا إلى بيته بعد قضاء يوم ملىء بالمغامرات والقنص — وهو ان أمين مكتبة الكنيسة وطالب بالمجمع الكنائسى — وكانت أنامله قد أصابها شئ من التخدير ووجهه قد انتقد بهبات الريح . . وخيل إليه أن ذلك البرد الذى هبط فجأة . . قد أفسد على الأشياء رونقها . . وران على معالمها . . وأن الطبيعة ذاتها قد خامرها القلق . . وساورها الاضطراب . . وهذا علة ما شاهد من أن الحلكة قد بدأت تخيم على الأرض أسرع مما كانت عليه من قبل . . وكان كل ما يحيط به مهجورا كئيبا . . ولم يكن ثمة بارق من الضوء يومض إلا فى حدائق الأرامل — وكانت القرية . . وهى على بعد ثلاثة أميال — وكل ما يأخذ العين سابحا فى ضباب المساء البلورى . .

وتذكر الطالب أنه حين غادر بيته كانت أمه تفترش الأديم عارية القدمين . . تنظف وعاء الشاى . . وأبوه جالسا على مقربة من الموقد يعانى آلام السعال . . ولما كان اليوم هو الجمعة الحزينة لم يطبخوا شيئا . . فاستشعر لذعات الجوع الهائل . . ثم تقلصت أعضاؤه . . ودار بخلده أن مثل هذه الموجات من البرد كانت قد اجتاحت أيام رادك وبطرس وإيفان الجبار . . وأن فى زمنهم الفقر المدقع قد تفشى . . والجوع المهلك قد انتشر . . وكذلك نفس السقوف التى صنعت من القش التى اتخذت منها الخروق والثقوب العديدة موطنا لها . . كما اتخذ الجهل والبؤس ونفس الحيرة والظلمة والضجر من الأهلين حقلا خصيبا تنمو فيه يوما بعد يوم . . لقد كان ذلك فى عهدهم . . وحدث بلا مراء ولا جدال . . ثم تدور على أسطوانة الدهر ألف عام . . والحياة هى . . هى لا يعتريها تقدم . . ولا تحسن ... ! !

وكان مقيتا إلى نفس الشاب أن يؤوب إلى بيته . .

ويرجع السبب إلى إطلاقهم على الحدائق اسم حدائق الأرامل أن أرملتين — أما وابنتها — كانتا قد آلتا على نفسيهما أن يتعهداها بالرعاية . . ويسهرا للقيام على شؤونها . .

وكانت هناك نار مضيئة ملتهبة . . وأصوات طقطقه صاخبة . . يحملها الأثير إلى مسافات كبيرة فوق الأرض الهروئة . . وكانت الأرمل فازيليا — وهى بدينة الجسم فارعة القامة — ترتدى سترة رجل واقفة إلى جانب النيران تحدق بعينين شاردتين . . تنطويان على التفكير العميق والرحلة إلى عالم غامض مبهم . . وكانت ابنتها ليكريا جالسة على الأرض تنظف اللاعق والصحاف، وهى امرأة ذات نظرة متبلدة فارة قد انتشرت على وجهها آثار الجدرى . . وكان واضحا لدى أنها قد فرغتا من تناول عشائهما . . منذ برهة . . وكان صوت العمال يصل إلى آذاننا . . وهم يسقون جيادهم من النهر . .

واتجه الطالب صوب النار . . وقال :

— لقد عاود الشتاء كرته . . مساء الخير ... ! !

فارتاعت فازيليا . . غير أنها تبينته لتوها . . فارتسمت على شفتيها ظلال ابتسامة رقيقة وقالت :

— إننى لم أعرفك .. ! لتحرسك عناية الخالق الأكبر سوف تصيب ثراء واسما ..!

ثم أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث ..

كانت فازيليا .. ذات خبرة كبيرة .. قد اختلطت بالطبقات العالية .. إذ كانت تعمل وصيفة . ثم مربية للاطفال .. فراحت تطرق باب الحديث بعصا اللباقة والرقة .. ولم تفارق شفتيها .. ابتسامة ناعمة دمثة .. أما ابنتها ليكريا فكانت ريفية قد ألهبها زوجها بسياط معاملته القاسية .. فسمرت نظراتها على وجه الطالب .. ولم تشرك نفسها فى الحديث ، وكانت تلوح على وجهها سمة كالتى نراها ضافية دائما على الصم والبكم ..

وحرك الطالب يديه حول النار ينشد الدفء وهو يقول :

— لقد كان القديس بطرس يدفئ نفسه على مثل تلك النار .. فلا ريب إذن . أن الجو كانت تسوده البرودة آنذاك .. آه ... لابد أنها كانت ليلة مروعة ياجدتى .. ! ليلة طويلة مشؤومة لا محالة .! .. ثم ألقى ببصره إلى ماعقد حوله من نطاق الظلمة الدامسة وهز رأسه فى تأثر بالغ وقال :

— لاشك أنك كنت تطالعين فى الأنجيل ثنى عشر ..؟

فأجابت فازيليا : — أجل .. ! لقد كنت أجيل الطرف خلال صفحاته ..

هل يعلق بذكراتك أن بطرس قال فى العشاء الأخير « إننى متأهب تمام الأهبة لأن أخوض برفقتك معمعة الظلمة والموت » فأجاب مولانا السيد « إننى أقول لك يابطرس إنك ستشرك بى ثلاثا قبل أن تصيح الديكة وخرج يسوع » عقب العشاء إلى الحديقة . يوقد له نيران الموت وكان بطرس المسكين .. خامد النفس . واهى القلب .. وعيناه مثقلتان .. فلم تصمدا أمام جيوش النعاس فهزمها النوم .. ولقد أدركنى أن يهوذا تقابل ويسوع فى تلك الليلة نفسها ، وأفشى أمره إلى مضطهديه .. وأنهم .. أدوا به إلى الكاهن الأكبر مغلولا .. فضرب كثيرا .. !!

واستيقظ بطرس متثاقلا وهو يتوقع أن الشئ الخطير الفز سيحل بالأرض .. ولقد كان يحمل ليسوع الحب والتقدير الشديدين .. وها هو ذا الآن يضرب على البعد

.. وألقت ليكريا بالملاعق من يدها وأدارت بصرها إلى الطالب الذى استطرد فى القول ..

— فلما انتهوا حيث دار الكاهن الأكبر راحوا يعطرون يسوع بوابل من الأسئلة المتراحة بينما أشعل الرجال النار فى الفناء يصطلون . . واندس بطرس بينهم يدفئ نفسه كشأنى الآن هنا .. فرأته إحدى النساء .. فصاحت « لقد كان هذا مع يسوع .. أيسوع أيضا ؟ » ومعنى ذلك أنه ينبغى أن يستجوب أيضا .. ولا بد أن جميع الهال قد نظروا إليه فى ارتياب وحذر .. إذ أن الارتياك استولى عليه فقال « كلا .. إننى لست أعرفه » وما انصرمت فترة قصيرة الأمد حتى عرف شخص آخر أن هذا الرجل من تلاميذ يسوع فقال « إنك كذلك أحدهم » ولكن بطرس آثر الإنكار للمرة الثانية .. غير أن شخصا ثالثا تحول إلية وقال « كيف هذا ؟ ألم أشاهدكما معا فى الحديقة اليوم ؟ » فأصر بطرس على ألا يعترف للمرة الثالثة .. وفى تلك الآونة انبعثت صيحة الديك .. ونظر بطرس إلى يسوع على البعد .. وابتدر فى ذاكرته تلك الكلمات التى تفوه بها فى المساء إذ قال له « إنك ستشرك بى ثلاثا قبل أن تصيح الديكة » وعندما استعاد فى ذاكرته هذا .. هزته رجفة من الألم الممض .. وزايل الحديقة .. وأرخى العنان لمقلتيه .. تذرف الدمع الحار .. والإنجيل يقول « لقد انصرف والدمع السخين يهطل من عينيه مدرارا » .. إننى لألمس ذلك الآن واضحا جليا .. فها هى ذى الحديقة يطويها الظلام .. ويخيم على أرجائها السكون ...

وفى ذلك الهدوء الشامل اختنق صوته بالعبرات .. حتى وقف الكلام فى حلقه ..

وتنهد الطالب تنهدة عميقة . وسرح ببصره فى متاهات التفكير . وكانت فازيليا لا زالت على شفتيها الابتسامة المشرقة .. بيد أنها غصت بريقها بغتة .. وانحدرت الدموع على وجنتيها المتوردتين وكأنما أخجلها أن تبكى فوارت وجهها بطرف ثوبها .. أما ليكريا فكانت عيناها تحملقان فى الطالب فى هم وتد لهة . فصاعد الدم إلى وجهها .. وبدت على

سحنتها علائم التبرم . . كأنما تقاسى شيئاً مؤلماً ...

وانقلب العمال راجعين من النهر . . بعد أن أطفأوا غلة خيلهم . . ومر واحد منهم على الدار ممتطياً صهوة جواده . . بينما الأضواء تترنح متمايلة على جسمه . . فحيا الطالب الأرملتين . . وودعهما . . وطواه الليل برداء الظلام مرة أخرى . . وسرى التخدر فى أنامله . . وكانت الريح تعصف وتهب . . حتى كأن الشتاء قد عاد حقيقة . . ولم يكن هناك من الدلائل ما يوحى بأن شمس العيد ستشرق فى الصباح الباكر !

وفى تلك اللحظة كانت خواطر الطالب منصرفة إلى فازيليا « لا ريب أن نشيجها هذا له صلة بما وقع لبطرس فى الليلة التى طويت قبيل صلب المسيح . وأرسل إشعاعات من بصره على ما حوله وكان الضوء لا يزال يلتمع فى بهمة الليل . . بيد أنه كان وحيداً . . ولم يكن بجانبه آدمى ما . . وأجهد الطالب فكره ثانية . . فى أنه ما دامت فازيليا قد بكت . . وما دامت ابنتها قد اضطربت فلا ريب أن ذلك الذى حدث منذ تسعة عشر قرناً . . والذى أفضى بحديثه الآن . . لا شك . . أن هناك خيوطاً قوية . . تربط ذلك الشىء بالحاضر . . بهاتين المرأتين . . بالقرية الرابضة فى الخلاء . . بنفسه . بالعالم كله !

لقد أجهشت تلك المرأة العجوز بالبكاء . . لا لأنه عرف كيف يروى عليها القصة . . بأسلوب له عمل السحر فى النفس . . وإنما لأن بطرس . . متصل بها . . قريب منها . . ولأن ما ساور دخيلته قد هز كيانها . . واستحوز على مشاعرها ...

وطفت عليه موجة من الفرح بغتة . . فوقف . . ليتنفس ويفكر هنيهة . . قائلا :

— ألا إن الماضى لمتماسك بالحاضر . . بحلقات من الحوادث تربط بعضها بعضاً . ا وخيل إليه أنه أدرك كنه هذه الحلقات . . إنه حين يقبض على حلقة تتحرك الأخرى ...

ثم خاض النهر فى أحد القوارب . . وصعد إلى التل . . ووقف يرنو عبر قريته ثم إلى الغرب حيث يلوح فى الأفق البعيد خيط واه من النور خلفته الشمس الحمراء ..

وظن أن الجمال المبدع . . والحق الخالد . . اللذين قادا ركب البشرية الوانع . هنالك فى الحديقة . . وفى فناء الكاهن الأكبر . . ما زالا على جبروتهما حتى الساعة . . بل إنهما أحوج ما تسكون إليه الإنسانية . . وذلك العالم الأرضى !

وبدأ يستشعر شيئاً فشيئاً . . بالحيوية . . والقوة . . وذلك الانتظار الحلو للسعادة — وهو انتظار لا يمكن الإحاطة بكنهه — ترقب لسعادة مجهولة غريبة . . وانقشعت السحب من أمام عينيه . . فبدت الحياة رائعة . . زاخرة بشتى المعانى النبيلة ...

عبد القادر حسين مجيرة

منطقة الجيزة التعليمية

هندسة المبانى

تعلن المنطقة عن مناقصة الأعمال الاعتيادية والصحية لسنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ طبقاً لقوائم أعمال مصلحة المبانى الأميرية وقد حددت الساعة الثانية عشر ظهر يوم الخميس ٢٨ يونيه سنة ١٩٥١ لفتح المظاريف وللمقاولين حق الاطلاع على قوائم الأعمال والشروط والمواصفات الملحقة بها والحصول على استمارات العطاء من المنطقة نظير مبلغ ١٥٠ مليماً بعد تقديم طلب على عرضحال دمغة فئة ٣٠ مليماً لكل استمارة ويرفق بكل عطاء التأمين المؤقت المبين قيمته باستمارة العطاء وترسل العطاءات باسم سعادة المراقب العام ويكتب على الظرف مناقصة أعمال صحية أو اعتيادية والعطاءات التى تقدم باليد توضع فى الصندوق الخاص بالعطاءات فى المنطقة وللمنطقة الحق فى قبول أو رفض أى عطاء بدون أبداء الأسباب ٨٥٥٧